

كشف أسرار الكوميديا النحوية

الكاتب



عبد اللطيف الزبيدي

لماذا لا تطرح الفضائيات أحوال العربية على الملأ؟ أليس الإعلام العربي يلهج دائماً بعشقها وبأنها الحب الوحيد لديه؟ أما عنها في يومها العالمي فأين منها دبكة الدبكات؟ سيهدي القلم إلى الشاشات رأس خيط لم تحلم به ملونة 4 أو 8 ك. إذا كان النحو ثقيلاً، فيصير فرقعات قهقهات، وقد تتخاطفه شركات الإنتاج الفني، فتتنجو من خيبة الكساد. سيرى القارئ كيف أن بقاء دار لقمان على حالها، ورفض التجديد والتطوير، سبيل قويم إلى التآلق الكوميدي. في قواعد اللغة لو كان المشهد مثلما حدث لفتية أهل الكهف والرقيم، الذين فوجئوا بأن العملة تجاوزها الزمن، لهان الأمر، فمأساة العربية هي أن العرب استطابوا البيات الشتوي، متجاهلين أن اللغة نهر دافق ثرّ ثراراً، لا ينبغي له أن يأسن. من هنا المفارقة التي تصنع الكوميديا. حين يغفل العرب عن أن لغتهم ليست ميراثاً جامداً متحجراً متكلساً، وأنها في كل حقبة وعصر تتأثر بتحولات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والعلوم، فإن مهزلة المهازل أن يظلوا يرددون القواعد بطريقة عرضها في القرون الخالية.

انتصف العمود أو كاد، فلندع النصف الأخير للدعابات غير المقصودة، وهي فوق الطرائف واللطائف والمُلح. سنة 2007 ينشر في بلاد العرب كتيب نحوي «عوامل النحو المئة» فيه هذه النوادر: في أحرف النداء الخمسة، التي تنصب الاسم إذا كان مضافاً إلى اسم آخر: «يا غلام زيد..» لم يقل مثلاً: يا طبيب الشركة. الحمد لله، عين محكمة لاهي نائمة. عن «كم» الاستفهامية، من ملايين الأمثلة لم يجد غير: «كم رجلاً ضربته».

الجاحظ أوصى ألا يتعلم الصبيان من النحو إلا ما يفيدهم في حياتهم اليومية. بالله عليك: أين تستطيع التفاصح بجملة كهذه: «كأين رجلاً لقيت». ماذا لو قلت لأحد: كأين بلد زرت، كأين وجبة سريعة ازدردت. في أسماء الأفعال نرى هذه النماذج: «رويد زيداً، أي: أمهل زيداً. بلة زيداً، أي دع زيداً. هذا فعل لم يسمع به جل العرب: كرب وهو من أفعال المقاربة، مثل دنا، قارب، كاد: «كرب زيد يخرج». أين يمكن استعماله؟ وتريدون ألا يخلع الطلاب نعالهم ويفروا؟ في

العوامل القياسية، نقرأ عن اسم المفعول: «جاءني المضروب غلامه»، وهذا منتهى الفصاحة والبلاغة قياساً على السم الفاعل: «زيدٌ ضاربٌ غلامه عمراً».

إذا تجاهلت الضرب كعلاقة ضرورية بين العرب، فحاول القياس عليه. هذه مصيبة سوداء في الصفة المشبهة: «جاءني رجلٌ حسنٌ غلامُهُ»، أين يمكن أن تقول: زارني مديرٌ عبقرِيٌّ نائبُهُ؟ في وظائف الواو يقول المؤلف: «ولها معنيان، القسم ومعنى «رُبَّ»، في حين أن الواو لها 15 وظيفة، من بينها العطف، المعية، الحال، واو الجماعة إلخ. لزوم ما يلزم: النتيجة التصحيحية: أولياء الأمور لا يعلمون بالضرورة بهذه المعضلات، يرون التقصير والتقاعس في أبنائهم، بينما هؤلاء براء

abuzzabaed@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.